

أم الغلمان تذهب لكبير التجار

فِي الصَّبَاحِ الْجَدِيدِ

نَهَضْتُ أُمُّ الْغُلَّامَانِ

مَتَوَكِّلَةً عَلَى الرَّحْمَنِ

إِرْتَدَّتْ لِإِبَاسِهَا وَوَضَعَتْ خَمَارَهَا

وَانْطَلَقَتْ بَعْدَ أَنْ وَضَعَتْ ابْنَهَا عِنْدَ زَوْجَةِ حَسَانِ

وَصَلَّتْ وَقَدْ حَزَمَتْ أَمْرَهَا

دَخَلَتْ وَتَكَلَّمَتْ بِصَوْتِ غَرِيدِ

كَأَنَّهُ عِنْدَ لَيْبٍ يَشْدُو سَعِيدِ

أَسْعَدَ اللَّهُ صَبَاحَكَ سَيِّدَ التُّجَّارِ

وَمِنْ كَثْرَةِ تِجَارَتِهِ النَّاسُ تَحْتَارُ

وَمِنْ مَالِهِ يَغَارُ كُلُّ التُّجَّارِ

انْتَفَخَتْ أوداجه

وقال : مَنْ أَنْتَ يَا صَاحِبَةَ الصَّوْتِ الْغَرِيدِ وَالْقُدِّ الْمَلِيحِ

أَجِيبِينِي فَقَدْ عَصَفَتْ بِالْقَلْبِ التَّبَارِيحُ

تَبَسَّمتُ فِي سِرِّهَا فَضَعُفَهُ حَبُّهُ لِلنِّسَاءِ

وَهِيَ عَلَيْهِ لَا يُوجَدُ مِنْهَا شِفَاءُ

يَا سَيِّدِي أَنَا زَوْجَةُ حَاتِمٍ

وَاسْتَنْكَرَ ذَلِكَ الْمَجْنُونُ

نَعَمْ قَالُوا عَلَيْهِ مَأْفُونُ

وَلَكِنَّ دَعَا مِنْ هَذَا لِي فِيكَ مَطْلَبَا

قال : هاتى ماعندك
 قالت : بصوت حزين أريدُ أَنْ أُنْقَلِ إِلَى بَيْتِ صَغِيرٍ
 وَإِنْ أَبِيعَ قَصْرَنَا الْكَبِيرَ. وَلَمْ أَجِدْ أَرْوَعَ مِنْكَ لِيَشْتَرِيَهُ
 وَيَسْكُنَ دُونَ الْبَشْرِ فِيهِ

قَالَ يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَنْتِ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ
 أَغْرِفُ عَنْكَ أَنَّكَ الْأَرْوَعُ بَيْنَ الْحَسَانِ
 فَكَيْفَ لِلْبَلَدِ تَتْرَكِينَ وَعَنْ الْجَوَارِ تَرْحَلِينَ
 وَأَنْتِ مِنْ دَارِ عِزِّ بَيْتِ صَغِيرٍ تَسْكُنِينَ

مَا عَادَ الزَّمَانُ لَنَا صَافٍ وَلَا طَاقَةٌ لَنَا الْيَوْمَ بِبَيْتِنَا الْكَبِيرِ
 فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ فَأَنْتِ تَعْرِفُ أَنَّهُ قَصْرٌ وَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي
 زِمْرَةِ الْفُقَرَاءِ لَذَا نَحْتَاجُ إِلَى تَغْيِيرٍ

وَأَنْتِ سَيِّدُ الْكِرْمَاءِ كَرِيمٍ مَعْطَاءٍ
 لَتَسْتَطِيعِ أَنْ تَكُونِ لَنَا مِنَ الزَّائِرِينَ
 وَحَتَّى وَإِنْ خَرَجْنَا إِلَى حُدُودِ الْمَدِينَةِ

يُمْكِنُ تَأْتِيْنَا زَانِرًا وَتَحْظَىٰ عِنْدَنَا بِالسَّكِينَةِ
وَقَفْتُ بِهُدُوءٍ وَسَكَتٍ عَنِ الْكَلَامِ
حَتَّىٰ تَدْعُدُغَ خَيَالَهُ وَيَعِيشَ الْأَحْلَامِ
تَبَسُّمٌ وَحَرَكَ لِسَانَهُ وَخَبَالُهُ طَافَ
كَأَنَّهُ ذَنْبٌ وَأَمَامَهُ قَطِيعٌ مِنَ الْخِرَافِ
قَالَ تَأْمُرِي تَطَاعِينَ
يَا مَنْ بِالْحَسَنِ تُجْمَلِينَ
هَلْ سَتَشْتَرِي الدَّارَ؟
قَالَ هَذَا أَمْرٌ لَا يَحْتَاجُ حِوَارَ
قَالَتْ أَحْتَاجُ إِلَىٰ دَنَانِيرَ
نَظَرَ لَهَا يَبْتَسِمُ
وَالْمَكْرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَرْتَسِمُ

لَكَ هَذَا بِلاَ تَأْخِيرٍ

قَالَتْ حُجَّةُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَحَاقِ

قَالَ لَكَ هَذَا وَهُوَ بَيْنَنَا اتِّفَاقُ

قَالَتْ أَنْتَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ

أَعْطَاهَا مَا طَلَبَتْ مِنَ الْمَالِ

وَرَاوَعْتَهُ حَتَّى لَا يَطْلُبَ صَكَ رَحَلَتْ وَقَدْ حَقَّقَتْ الْأَمَالَ

وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا وَقَعْتَ يَا سَيِّدَ النِّفَاقِ